محنة مصر محنتنا

للأستاذ محمد البشير الإبراهيمي

رئيس تحرير (البصائر) لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تعاني مصر العزيزة هذه الأيام، ما يعانيه الحر الأبي أكره على الضيم، وأريد على ما لا يريد، وجرع السم مدوفا في الحنظل، وقطعت أوصاله وهو يشعر، واستبيحت محارمه وهو يسمع ويبصر، حتى إذا استيأس من الإنصاف ونفد صبره خطا الخطوة الفاصلة، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه، وعلى تمزيق الصحيفة التي أملتها القوة على الضعف فقبلها مكرها كمختار؛ وكانت أهون الشرين، فأصبحت — بحكم الزمان — أثقل الخطبين.

. . .

صممت مصر على حل العقدة التي عقدها السيف يوم التل الكبير، وأحكم المكر عقدها بعد ذلك في سلسلة من الأعوام بلغت السبعين، صاحبتها سلاسل من الأحداث والأسباب المصطنعة زادت العقدة تأربا واستحكاما، وسلاسل من الوعود الموهومة تكررت فألفت وفقدت التأثير؛ وفتحت مصر عينيها على أفظع ما تفتح عليه العيون: تغرم لينعم الإنجليز، وتجوع ليشبع الإنجليز، وتموت ليحيا الإنجليز، ويهدم مجدها ليبنى بأنقاضه مجد الإمبراطورية الإنجليزية، ويفرض عليها أن تعيش غريبة في وطنها، وأن تمارن على طمس حضارتها ومسخ عقليتها، والانسلاخ من شرقيتها، والنسيان لماضيها، وأن تنتبذ من أهلها مكانا غربيا ... وأن يجفف ماء النيل لتفهق به مشارع التامز . . .

صممت مصر على إحدى الخطتين، فكانت التي فيها الشرف والكرامة، بعد أن استنفدت التجارب، واستفرغت الجهود، وبعد أن استعرضت الماضي بعبره وشواهده، فرأت أن ساعة من العمل خير من ألف شهر في الكلام، وأنها تمارس خصما إن استنجزته الوعد طاول، وإن تقاصرت أمامه تطاول؛ فخطت هذه الخطوة واثقة مستبصرة، وتركت للأقدار ما وراءها، كما يفعل المظلوم المستيئس من إنصاف ظالمه، ومن نصر النظارة: يركب الحد الخشن، ويعتمد على نفسه، وينادي ربه: «أني مغلوب فانتصر».

رأت مصر — كما رأينا وكما رأت الشعوب المستضعفة — أن السنة قد انعكست، فأصبحت أيام الحرب أكثر عددا من أيام السلم، وأن لصوص الاستعمار تشغلهم الحرب من السلم، ولم تشغلهم السلم عن الحرب، فأصبحوا في حرب متصلة الحلقات.

وعلمت مصر — كما علم غيرها — أن الشعار الكاذب لحرب ١٤ — ١٨ هو وعود المحاربين للأمم الضعيفة بأن نهاية الحرب هي بداية تحريرهم فليسكتوا إلى حين، لأن السلاح خطيب يجب الإنصات له، ويحرم الكلام معه، فلما انتهت تلك الحرب أمعن اللصوص المنتصرون في استعباد المستضعفين، وصمت آذانهم عن سماع أصواتهم. وجاءت حرب ٣٩ فتجددت تلك الوعود بألفاظها، وزيدت عليها نون التوكيد المشددة، وسيقت تلك الشعوب الموعودة على نفاتها إلى جهنم بأوزار غيرها، ولمنافع غيرها. فلما خفتت المامع، وسكتت المدافع، عادت طبيعة الكذب والإخلاف إلى مستقرها من نفوس اللصوص، وعادت الحالة إلى أشنع مما كانت عليه من تحكم واستعباد. وما انتهت تلك الحرب حتى ظهرت عليها أعراض الحمل بحرب أخرى ثالثة، وأصبح العالم كله استعدادا لها، وأوجد الطغاة المالكون في الأرض بذلك مرخصا لطغيانهم ولإسكات الأصوات المطالبة بالتحرر، وعادت نوبة المماطلة والتسويف والوعود الكاذبة والتعلل بأن الحرب على الأبواب، فلنحتفظ بهذه الأبواب، وبأن الديمقراطية في خطر، فلنتعاون على إنقاذها مجتمعين قبل كل شيء ثم نتناصف. وهم لا يريدون من الديمقراطية إلا سيادتهم واستعلاءهم وتحكمهم في الشعوب والأوطان واستئثارهم بقواتها وخيراتها، فقالت مصر: إذا كانت الحرب لم تنصفني مع احتراقي بنارها، وكانت السلم لا تنصفني مع اصطلائي بوسائلها وتمهيدي لأسبابها، فلأنتصف لنفسي، ولآخذ حقي بيدي .. فأقدمت، وجاءت بها غراء مشهورة الأعلام، وسنتها سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها، ممن ضاقت به الحيل، واشتبهت عليه السبل. ولعمري لئن سبقها إلى هذه المنقبة رجال من فارس، ليلحقنها فيها رجال

من العرب الأشاوش ...

* * *

الآن . . يا مصر . الآن وقفت على مفتاح القضية ، وقد أقدمت فصممي ، واحذري النكول والتراجع فإنهما مضيعان للفرصة . اجعلي من أرضك صعيدا واحدا واجمعي أبناءك كلهم فيه صفا واحدا بقلب رجل واحد، على الحفاظ والنجدة والاستماتة في حقك والموت في سبيله ؛ واجعلي من وجهيك وجها واحدا مستبين القسمات ، واضح السمت ، يراه عدوك فلا يرى إلا الحق مشرقا ، والقضية بارزة العنوان

إن بين السبق والتخلف خطا دقيقا يتجاوزه الحر الأصيل فإذا هو مستول على القصب . وإن بين النصر والهزيمة خطوة ضيقة يخطوها الشهم الشمرى فإذا هو حائز للغلب . وإن المالى شد حيزوم ، وشحذ عزمة ، وتلقيح رأى سديد برأى أسد ، وتطعيم عقل رشيد بعقل أرشد ؛ ثم استجماع للقوة الداخلية كما يستجمع الأسد للوثبة

ليت شعرى .. لو لم تصنع مصر ما صنعت ، فماذا كانت تصنع ؟ أ كانت تستخذى للغاصب فتبقى مقيدة به ، يمادى فتمادى بلا سبب ، ويحارب فتحارب بلا أجر ولا غنيمة ، ويرضى فترضى بلا موجب ، ويواصل فتواصل على مضض ؟

وكنا نظن أن الإنجليز راجعوا بسائرهم ، وأخذوا من تأديب الزمان بنصيب ، ومحوا سيئة الاستعمار بحسنة التحرير ، وسنوا للمستعمرين الجائمين سنة التعفف — يوم حرروا الهند وباكستان — على ما فى ذلك التحرير من شوائب — ويوم أعانوا سوريا ولبنان على التخلص من البلاء المبين . كنا نعتقد أن تلك البوادر من إنجلترا — لو عادت عليها — أصلح لهـا وأبقى على شرفها ؛ لأن من ثمراتها أن يصير خصومها أصدقاء وأعوانا ، ولكن معاملتها لمصر هذه المعاملة القاسية التى انتهت بالأزمة الحالية — كذبت ظنوننا ، وسفهت اعتقادنا ، وأقرت أعين المستعمرين أعداء التحرير

* * *

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المعبرة عن إحساس الشعب الجزائرى كله ، تعلن تأييدها للشعب المصرى وتضامنها معه فى موقفه الحازم ؛ ولا تصدها عن أداء واجبات الأخوة هذه الحدود الوهمية التى خطها الاستعمار بين أجزاء الوطن الواحد، ولا هذه الحدود الواهية التى أقامها بين أبناء الوطن ، لأن العواطف الجياشة كعثانين السيل لا تردها حدود ولا سدود

وجمعية العلماء تحيى جهود الشعب المصرى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله ، وتدعو له بالثبات فى هذا المعترك الضنك ، وبالانتصار فى هذه المعركة الحاسمة ؛ وأن يكون انتصاره آية من الله يثبت بها عزائم المستضعفين ، ويحل بها ما عقد الأقوياء .

وإن الشعب الجزائرى حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصرى — إنما يقدم جهد المقل من قلوب ملؤها الحب لمصر ، والاعتزاز بأخوة مصر ، والاعجاب بما صنعت مصر . وإنه يعتقد أن كل مصرى يخرج عن إجماع مصر فهو مدخول العقيدة ، مغموز النسب ، وأن كل عربى لا يؤيد مصر ، فهو عاق للعروبة ، ناكث لعهدها؛ وأن كل مسلم لا يمين مصر بما يملك فهو مارق من الأخوة الاسلامية الشاملة

البصائر محمد البشير الإبراهيمى

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

وهى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

ثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد